المحاضرة السادسة: الفصل والوصل

*** عناصر المحاضرة:**

1 – مفهوم الفصل في اللغة والاصطلاح

2 – مفهوم الوصل في اللغة والاصطلاح

3 – تطبيقات الفصل والوصل عند البلاغيين والنحاة

4 –محسنات الوصل وعيوبه

5 – مراجع الفصل والوصل

عــرض ومتابعــة وتحليــل

تمهيد:

من أسرار البلاغة العلم بمواطن الوصل والفصل في الكلام، أو بعبارة أخرى العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والإتيان بها منثورة تُستأنف واحدة منها بعد الأخرى.

وإدراك مواطن الوصل من الفصل في الكلام لا تتأتى إلا للعرب الخلص، لأن اللغة لغتهم وهم ينطقون بها على سليقة، كما لا تتأتى إلا لمن طبعوا على البلاغة وأوتوا حظا من المعرفة في فنون الكلام.

وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال:" البلاغة معرفة الفصل من الفصل "، وذاك راجع لغموض هذا الباب ودقة مسلكه، ولأن من يكمل له إحراز الفضيلة فيه يكمل له إحراز سائر معاني البلاغة.

1 – مفهوم الفصل في اللغة والاصطلاح

أ ـ الفصل في اللغة: الفصل واحد للفصول، وفَصلتُ الشيء، فانفصل، أي قطعته فانقطع. فالفصل إذن معناه لغة: **القطع والإبانة والإفراز.** وهو مصدر للفعل الثلاثي السالم فصل يفصل الشيء.

ب ـ الفصل في الاصطلاح: الفصل هو بابٌ له علاقة وطيدة بالوصل، وحدّه ترك الوصل، والإتيان بالجملتين مستقلتين من غير تشريك الواحدة بالأخرى، وبخلاف الوصل الذي هو جمع أو ربط جملتين لعلّة بينهما، فإن الفصل يعني إيراد جملتين أو أكثر منثورة تستأنف واحدة منهما بعد الأخرى، مثل قوله عز وجل: **"سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير."** سورة الإسراء (1)

ومن أمثلة هذا النوع قول امرئ القيس :

مفر مكر مقبل مدبر معا * *** كجلمود صخر أحطه السيل من عل**
بحـــر الطويـــل

ولعله من أسرار البلاغة العلم بمواطن الفصل والوصل في الكلام، أو بعبارة أخرى العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والإتيان بها منثورة تُستأنف واحدة منها بعد الأخرى.

وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوا الفصل والوصل حدًّا لعلم البلاغة، فقد سُئل الجاحظ عنها فقال:***البلاغة معرفة الفصل من الوصل.*** (2)

2 – مفهوم الوصل في اللغة والاصطلاح:

أ ـ الوصل في اللغة: وصلتُ الشيء وصلا وصلة ووَصل إليه وصولاً، أي بلغ.. ووصلَ بمعنى اتصلَ. ووصلَ الشيء بغيره فاتصل، ومنه قول المولى جل وعلا: **"ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون" (سورة القصص ، 51) .**

فالوصل في اللغة معناه لمُّ الشيء بالشيء وربطه وجمعه به، وهو مصدر الفعل الثلاثي: وصلَ (3)

ب ـ الوصل في الاصطلاح: فهو عند البلاغيين عطفُ الجمل بعضها على بعض، والمراد بالجمل (التناسب) وهذا يعني تشريك الجملة الأولى بالثانية في حكمها الإعرابي، مثل أن تكون خبرا لمبتدأ، أو حالا، أو صفة أو نحو ذلك، عُطفت عليها الثانية ليدل العطف على التشريك. ويكون بأدوات مخصوصة هي: الواو، الفاء، حتى وثم مثل قول الحق سبحانه : **"هو الأول والآخر والظاهر والباطن"** *سورة الحديد (3).

ومثل قول العلامة عبد الحميد ابن باديس رحمه الله:

شعب الجزائر مسلم * *** وإلى العروبة ينتسب**

(من بحر الكامل المجزوء)

3 – تطبيقات الفصل والوصل عند البلاغيين والنحاة:

أولا/ قلنا بأن الفصل عند البلاغيين هو تركُ العطف بين الجملتين والمجيء بالجمل منثورة تستأنف واحدة فيها بعد الأخرى.

وهذا النوع من الفنون البلاغية لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي قسطا موفورا من البلاغة وطُبع على إدراك فنون الكلام ومحاسنه ومقاصده.

يقع الفصلُ في مواضع من أهمها ما يلي:

1 ـ أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تام، ويسمى هذا كمال الاتصال، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى، كقوله سبحانه وتعالى: **" ما هذا بشرا إن هذا إلا ملكٌ كريمٌ."** سورة يوسف (31).

فجملة(إن هذا إلا ملك كريم) تأكيدٌ لجملة (ما هذا بشرا)، لأن كونه ملكاً ينفي كونه بشراً.

ويقول أبي الطيب المتنبي:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي * *** إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا**
(من بحر الطويل)

فقوله في الشطر الثاني: (إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا) توكيد لقوله في الشطر الأول، ولذلك وقع الفصل بينهما.

2 ـ وقد تكون الجملة الثانية بياناً للجملة الأولى: مثل قوله جل وعلا: **"يا أيها الذين آمنوا هل أدلُكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله".**
سورة الصف (10 - 11).

فجملةُ (تؤمنون بالله) بيانٌ لما قبلها ، أو بدلٌ لما قبلها.

3 ـ أن يكون بينهما كمالُ الانقطاع، بشرط ألا يوهم الفصل خلاف المقصود، فعندئذ يجب الوصلُ، ويكون ذلك بشروط، وهي:

أ – أن تكون الجملتان مختلفتين خبرا وإنشاء ولفظاً ومعنىً ، كقول أبي العتاهية (ت 211 هـ):

يا صاحب الدنيا المحبَ لها * *** أنت الذي لا ينقضي تعبُهُ**
(بحر السريع)

ومثل قوله عزوجل:**" يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ."**
سورة يوسف (39).

فجملة النداء إنشائية لفظا ومعنىً ففي البيت الشعري جملة (أنت الذي لا ينقضي تعبه) خبرية لفظاً ومعنىً، وينطبق ذلك على الآية القرآنية خيرٌ (أم الله الواحد القهار) لفظا ومعنىً.

الخلاصة

أن الفصل عند البلاغيين، هو تركُ الوصل بين الجملتين، أو أكثر، ويكون ذلك في الجمل الشديدة الارتباط ويذكر الفصل حين تقتضي المناسبة التي يجب فيها إظهار نسق الكلام وتتابعه. فالفصل عند البلاغيين أو النحويين، هو تتابع الكلام دون ذكر حروف العطف.

ثانيا: تطبيقات الوصل عند البلاغيين والنحاة، فيمكن إيجازها في الآتي:

إن الوصل عند علماء البلاغة (في علم المعاني) يعني عطف جملة على أخرى (بالواو) فقط دون سائر حروف العطف الأخرى، كقول أبي الطيب المتنبي:

أعز صديق في الدنا سرجٌ سابح * *** وخير جليس في الأنام كتابٌ**
(من بحر الطويل)

ولعله من المفيد التأكيد أن من أبرز مواضع الوصل ما يلي:

أ – إذا قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي، وتفصيل ذلك أنه إذا أتت جملةٌ بعد جملة وكان للأولى محلا للإعراب وقُصد تشريك الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي، فإنه يتعين في هذه الحالة عطف الثانية على الأولى بالواو وتماما كما يعطفُ مفرد على مفرد بالواو لاشتراكهما في الحكم الإعرابي.(في حكم إعرابي واحد)، مثل:

أنتِ أيقضتني وأطلعتِ عيني * *** على عالم من السر وأخفى**

تأمل في البيت الشعري الجملتين (أيقضتِني) و(أطلعتِ عيني على عالم من السر وأخفى) تجد أن للجملة الأولى موضعاً من الإعراب لأنها خبرٌ للمبتدأ قبلها.

وأن الشاعر أراد إشراك الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي، أي أراد أن تكون خبرا ثانياً للمبتدأ، ولهذا تعين عطف الثانية على الأولى بواو العطف.

ب – كما يجب الوصلُ بين الجملتين إذا اتفقتا خبرًا وإنشاءً، وكانت بينهما جهة جامعة، أي مناسبة تامة، ولم يكن هناك سببٌ يقتضي الفصل بينهما. وفيما يلي طائفةٌ من أمثلة هذا الموضع الثاني من مواضع الوصل:

ـ قال الله تعالى:**" إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم"**
سورة الانفطار، (13، 14)

وقالت الشاعرة رابعة العدوية ولدت بالبصرة (العراق) / 713 م وتوفيت بها عام 801 م شاعرة وفيلسوفة ومتصوفة:

فليتـك تحلـو و الحياة مريـرة * *** وليتك ترضى والأنام غضابُ**

إن صح منك الود فالكل هين * *** وكل الذي فوق التراب ترابُ**

(من بحر الطويل)

ففي هذين المثالين اشتمل كل مثال منهما على جملتين متحدتين متناسبتين في المعنى وليس هناك من سبب يقتضي الفصل، ولذلك عُطفت الجملة الثانية على الأولى في كل منهما بواو العطف.

والخلاصة:

يمكن جمع القواعد التي تحكمُ مواضعَ الوصل بين جملتين: أو يجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

1 ـ الأول: إذا قُصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي.

2 ـ إذا اتفقت الجملتان خبرا وإنشاءً، وكانت بينهما جهةٌ جامعةٌ، أي مناسبة / ويقصد بالتناسب أن تكون بين الجملتين رابطة أو صلــة تجمــع بينهما، كأن يكــون المسند إليه في الأولى له تعلقٌ بالمسند إليه في الثانية وكأن يكون المسند في الأولى مماثلا

للمسند في الثانية أو مضادا. وفيما يلي طائفة أخرى من أمثلة الوصل يُترك للطالب أمر البحث والتعرف إلى موضع الوصل في كل منها موجبةٌ:

1 ـ قال الله تعالى: **"فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون."** سورة التوبة (82).

2 ـ وقوله وهو أصدق القائلين: **"وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي."** سورة هود (44).

وقوله جل في علاه: **" رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)" سورة الشعراء (83، 84، 85، 86، 87، 88، 89).**

4 ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" إن من الشعر حكمة وإن من البيان لسحرٌ."**

5 ـ وقال الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه: **" أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم."**

4 ـ محسنات الوصل وعيوبه:

أ ـ المحسنات: من محسنات الوصل تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية، وتناسب الجملتين في الماضي والمضارعة، وفي الإطلاق والتقييد، ولهذا لا يُحسن العدول (الميل والانحراف عن ذلك في الوصل إلا لغرض، ومن هذه الأغراض أن يُقصدَ التجدد في إحدى الجملتين والثبات في الأخرى كقولك:" أقام محمدٌ وأخوه مسافرٌ.

هذا إذا أردت أن إقامة محمد تتجدد وسفر أخيه ثابت مستمر، لأن الدلالة على التجدد تكون بالجملة الفعلية وعلى الثبات بالجملة الاسمية.

ب ـ العيوب: ومن عيوب الوصل انعدام المناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه، مثل: عليٌ تاجرٌ وأحمد مريضٌ، فهذا العطف معيبٌ قبيحٌ إذ لا مناسبة بين الجملتين ولا رابطة في المعنى بين تجارة علي ومرض أحمد.

ولو قيل مثلا: عليٌ طبيبٌ وأحمد ممرضٌ لصح العطف بوجود رابطة تجمع بين الجملتين وهي هنا التماثُلُ بين المسندين (الخبرين) فيهما.

والله ولي التوفيق

إعداد وتقديم الأستاذ عبد الرحيم عازب

5 – مراجع الفصل والوصل:

*** إسماعيل بن حماد الجوهري(ت 398 هـ): تاج اللغة و صحاح العربية، ص 43.**

*** أبو عثمان الجاحظ (ت 255 هـ) : البيان والتبيين.**

*** عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية.**

*** محمد بلعيدوني: أثر البلاغة في النحو ـ النظريات اللغوية عند البلاغيين، ص89 .**

إعداد وتقديم الدكتور: عبد الرحيم عزاب